(الكتاب) التأليف والظهور

(Al-Kitāb): Authorship and Emergence

م.م عقيل عادل شحاذه الخزرجي

الجامعة العراقية – رئاسة الجامعة – قسم الدراسات والتخطيط

Email: aqeel.a.shahadha@aliraqia.edu.iq

الملخص

سنناقش في هذا البحث الموجز ما معروف عند الدارسين من حقائق عن (الكتاب) وزمن تأليفه أو ظهوره، ومؤلفه، تلك الحقائق التي تعتمد على روايات سردتها كتب التراجم القديمة التي تنسب أقوالاً وآراء وحكايات لعلماء مختلفين تُستنبط منها أمور ظلت متداولة يتناقلها لاحق عن سابق حتى اكتسبت درجة القطعية والتسليم، ونحن نعترف بأننا نخوض في أمر غامض إذ أن (الكتاب) وصاحبه أمور تتجاذبها الروايات والوقائع في لجج متلاطمة تأخذها بعيداً، ثم تعود بها دون ان تجعلها مستقرة في أرض صلبة واضحة المعالم، وسنحاول ان نطرح من تلك المرويات ما يبعدها عن حقائق الأشياء ويزيل عنها صفة التناقض، فنناقش الروايات التي تقول: إن (الكتاب) لم يظهر زمن المؤلف، بل ظهر بعد وفاته، وسنناقش في ضوء ذلك الرواية التي تقول: بأن الأخفش الأوسط احتفظ بنسخة (الكتاب) الوحيدة بعد (سيبويه)، وسنؤكد حقيقة ان (الكتاب) لا يمكن ان يُؤلَّف سرّاً معرجين على كتب النحو قبله أو في عصره. ثم نشير إلى أشخاص تحوم حولهم الشكوك في صنع (الكتاب)، زيادة على شكوك من نص (الكتاب)

الكلمات مفتاحية: سيبويه – الكتاب – النحو – الخلاف – الروايات

Abstract

In this concise research, we will tackle the facts about this book that are known among the scholars, its written or appearance era and its author. Facts that depend on novels that are being narrated by ancient interpreting books which narrate sayings, opinions, and tales that are attributed to various scientists from which many matters are discerned that have been circulating and passing from next to previous until it acquires the decisive degree and being axiom. We admit that we absorb in the mysterious matter, so the book and its author are matters being attracted by novels and facts in the clashes of depths which take them back and forth without making it settle on the solid ground with obvious features.We will try to subtract what makes these novels far away from facts and remove the discrepancy from them, thus we will discuss the novels say," The book does not appear during the author era, yet it appears after his death". At this point, we will discuss the novel that says, "The middle Akhfash has kept the one and only copy of this book after Sibawayh".We will confirm

the fact then that the book cannot be written secretly, referring to grammar books before him or during his age. Then, we will refer to figures that many suspicions surround them in writing the book, in addition to the doubts within the text

Keywords: Sibawayh – Al-Kitāb – Grammar – Disagreement – Narrations

المقدمة

لم يحظ كتاب في العربية بمثل ما حظي به (الكتاب) المنسوب الى (سيبويه)، فهو، مُذ ظهر وعرف، كان محطَّ عناية أهل النظر في اللغة والنحو وغيرهم. وتعاقبت الأجيال، وتقادمت القرون و(الكتاب) يزداد المُريدون له، والناظرون فيه، والناقدون له، والمدافعون عنه، والمقتبسون منه، والمولعون به، والحافظون نصوصَه عن ظهر قلب، والمنبهرون به حدّاً يقرب من التقديس احياناً ثقة به (فهو قرآن النحو)، وبصاحبه (فهو الإمام)، وبمروياته (فهي الأصح). وللكتاب فضل على مسيرة تطور الدرس اللغوي العربي، فقد أثار حركة لُغوية ناشطة امتدت قروناً، وأثمرت عن نتاج هائل من الكتب والدراسات التي تناولها الدارسون في هذا العالم على مدى اثني عشر قرناً. إن هذا (الكتاب)، على الرغم من شهرته هذه، وعلى الرغم من عظمته وروعته واكتمال قيمته، يبقى من الناحية التأريخية لغزاً، أيّما لغز! ولا تكاد تجد حلاً أو بعض حلٍّ لهذا اللغز، ولا تسعفك الروايات التأريخية عنه في الوصول إلى حقيقته، بل ان الروايات هذه هي التي تُعمَّق من حيرة الباحث عن الحقيقة وتأخذه إلى متاهات يصعب فيها الوصول إلى مخرج..

وأُولى مظاهر هذا اللغز وأعم علاماته اننا نجد ان هذه المرويات التاريخية، مع كل تناقضاتها واضطراباتها، بقيت صامدة، تشخص بكل ظلها وثقلها على مدى تلك القرون الاثني عشر دون ان يمسها ماس بنظر او تمحيص أو نقض، أو رفض، بل اجتُرّت في كل زمان وفي كل مكان على انها حقائق ومسلمات لا يمكن التطاول بتجريحها، حتى لو كان ذلك على سبيل التساؤل، أو على سبيل التشكيك بمصداقية بعض ما قيل.. والشك، كما نعرف، أول درجات اليقين.. وهكذا وجدنا في العرف السائد أن الحديث عن (الكتاب) أو صاحبه، إن كان في غير تلك المسلمات يُعدّ جرأة لا تقبل، وخروجاً عن الاجماع لا يستساغ بل قد يكون نوعاً من الكفر اللغويّ ان لم يكن كفراً حقيقياً حتى بتنا -نحن الدارسين وطالبي

العلم- نخشى أشدَّ الخشيّة من لومة لائم وغضبته إن قلنا في (سيبويه) أو في كتابه كلمة حتى إن كانت بريئة لا مقصد ورائها الّا القناعة بغير ما هو سائد من رأي أو معتقد.. والرأي والمعتقد أمران اختياريان لا يفرضان فرضاً خصوصاً ان كان في غير أمور الدين، والنحو وقواعده وأقوال النحاة والنحاة أنفسهم أمور ليست من الدين، ولا واجبة التقديس حدّ التزمت بها وقبولها دون نقاش.. رحم الله أبا حيّان حيث يقول: «لسنا متعبدين بأقوال نحاة البصرة ولا غيرهم ممن خالفهم»[1].. نعم انها واجبة الاهتمام، وأحياناً التعظيم حدّ التباهي والتفاخر بها، ولكن من أول شروط ذلك الاحترام لها ان نقول فيها الحقيقة على ما نقتنع به من أدلة وبراهين سواء أ كانت سلباً أو ايجاباً، لان الحقيقة هي مبتغى أي علم وأية دراسة. أقول هذا واعترف بأني ما كنت لأدخل هذا المدخل، أو امتلك ارادتي وقناعاتي في كتابة هذا البحث المتواضع لو لم أجد متنفساً للبدء بالخطوة الجريئة في هذا المسلك الخطر، ومحفزاً لخوض تجربة النقد الحر.. تمثل ذلك في توجيهات اساتذتنا في مرحلة دراسة الماجستير وآرائهم المدهشة التي لا ترضى اجترار كل ما أخذه الخلف عن السلف الصالح، بل لابد من النظر والتشكك والتساؤل، ثم القبول أو الرفض، أو التغيير، وبهدف الوصول إلى الحقيقة العلمية لا بهدف الهدم والجدل العقيم..

وبصراحة وجدناه شيئاً مثيراً أن نجد الأستاذ يشجع على ان ندخل منطقة المحرمات من الأفكار والموضوعات التي لا وجه حق في تحريمها أو منعها من التداول والتناول والنقاش، والتي كان فيها هذا الموضوع المتوارث سيبويه والكتاب.انها تجربة جديدة لنا، وأوكد انها تجربة محدودة لأنها فكرة لن تحظى من حيث المبدأ برضا اغلبية الباحثين، ولكننا نتمنى ان ننجح فيها، فلعلها تحفزنا على الاستمرار في ولج الموضوعات الجديدة والجريئة إن وجدنا الأيدي التي تأخذ بأيدينا وترشدنا، وإن وجدنا النفوس المتفتحة التي تسع صدورها لمثل هذه الموضوعات والأفكار. والله من وراء القصد.

المبحث الأول: (سيبويه) والخلاف فيه

تصر معظم المرويات وأقوال المؤرخين على ان (الكتاب) من تأليف شخص واحد هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـ (سيبويه) فعلينا ان نعرف اولاً حقيقة هذه الشخصية وزمن وجودها، لأن ذلك سيعيننا على تحديد زمن (الكتاب) على وجه التقريب والتوقع ولو أمكننا تحديد سنة ولادة (سيبويه) وسنة وفاته لأعاننا ذلك على الوصول إلى شيء مما نبتغي.

(١) البحر المحيط في التفسير لابي حيان الاندلسي الغرناطي: ج٣ ص٥٠٠، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ١٤٣٢هـ - ٢٠١٠م.

الغريب أن (الكتاب) على شيوعه وتداوله ومعرفة القاصي والداني له، لن نجد لمؤلفه (سيبويه) ما يدل على مظاهر الاهتمام بشخصيته وتتبع اخباره وتفاصيل حياته إلا نتفاً ضئيلة من المرويات المضطربة المتناقضة عنه، ف(سيبويه) أُهمل ذكره قصداً، أو بغير قصد. ولن نجد في كتب التراجم والأعلام ما يشفي غليلا، وليس لأصحاب تلك الكتب ذنب في ذلك، فلو أنه قد وصل إليهم ما تناقله معاصرو (سيبويه) من اخبارٍ ما تركوها، ولكنَّ المعاصرين أنفسهم لم يعنوا ب(سيبويه) وبأخباره. وهنا نقف عند رأي غريب يعلل هذا الإهمال لأخبار (سيبويه) وهو الرأي القائل: «ربما أغفل المؤرخون المعاصرون له ذلك لأنه-كما قلنا- لم يكن من اسرة عريقة، ولو علموا أن هذا الشاب الفارسي الذي ترك قريته ونزل في البصرة سيكون له شأن عظيم لتحدثوا عنه، وفصلوا في اخباره تفصيلاً عظيماً، ولكن (سيبويه) لم يشتهر بينهم بحسب ونسب وانما أشتهر بذكائه الوقاد و علمه الغزير، و أدبه الجم..»[1] اننا نرى العكس من ذلك؛ لان اشتهار (سيبويه) بالذكاء الوقاد والعلم والادب مع فقره وبؤسه[2] ينبغي ان يكون أكثر مدعاة لإعجاب الناس فيه ومن ثم يدفع ذلك إلى تتبع اخباره . بعد أن يأتي بما لم يأتِ به الأوائل، وهو هذا (الكتاب) الرائع. ثم ان التاريخ لا يهمل العظماء لأنهم فقراء، ولن ينتظر المؤرخون أو الناس عموماً التحقق من غِنى الشخصية، أو فقرها ليتحدثوا فيها أو عنها.

ان الاضطراب الهائل والتناقض الكبير فيما وصل من المرويات عن (سيبويه) لهو الدليل على التعمد في اهمال المعاصرين له لشأنه ولشخصه. ولكي تتضح أمامنا صورة ذلك التناقض فيها نستعرض هذه الأمثلة من الأمور المنقولة بأكثر من رواية:

المسألة المروي عنها	الاختلاف في الرواية
اسمه	١. عمر بن عثمان بن قنبر ٢. عمر بن قنبر
جدّه	١. قَنْبرَ ٢. قُنبَر

(١) كتاب (سيبويه) وشروحه (د. خديجة الحديثي): ص٢٠-٢١، الطبعة الأولى ١٣٨٦ه-١٩٦٧م، دار التضامن العراق بغداد. وإلى مثل ذلك ذهب الدكتور صاحب أبو جناح في كتابه من اعلام البصرة: (سيبويه) هوامش وملاحظات حول سيرته وكتابه: ص٢٤، من الأبحاث المقدمة الى مهرجان المربد الثالث ١٩٧٤م، منشورات وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية.

(٢) فقر (سيبويه) حقيقة لا تنكر وقد عدّه الدُجَي من المفلوكين في كتابه: (الفلاكة والمفلوكين) ص ٨٣، مطبعة الشعب ١٣٢٢ه

كنيته	١.أبو بشر ٢.أبو الحسن .أبو عثمان
مكان ولادته (ولم تذكر سنة ولادته)	١.البيضاء، كورة اصطخر ٢.الاهواز
سنة وفاته	١.١٦٠ه ٢.١٧٧هـ ٣.١٨٠هـ ٤.١٨٨هـ ٥.١٩٤ه
الحديث الذي خطأه فيه استاذه حماد	١.-ليس أبو الدرداء- ٢.-رَعُف في الصلاة- ٣.-الصفا-
مكان وفاته	١.شيراز ٢.ساوة ٣.الاهواز
مذهبه	١.سنيّ ٢.شيعيّ
دخوله البصرة بعد عودته من بغداد	١.لم يدخلها ٢.دخلها ٣.مرّ بشاطئها

إننا نضع لهذا الاضطراب احتمالين نرجح أحدهما فأول الاحتمالين هو ان اهمال (سيبويه) كان مقصودا من خصومه الكوفيين، وهو ما نستبعده لان البصريين اقوى قدرة على اثبات وجود (سيبويه) واشتهاره وإذاعة اخباره لو أرادوا ذلك. وثاني الاحتمالين هو ان خمول ذكر (سيبويه) هو حقيقة واقعة، بمعنى أنه لم يكن أكثر من دارسٍ درس النحو واللغة على شيوخ عصره ثم اكتسب شهرته من كتاب نُسب اليه لا من واقعه. وهو ما نرجحه و(سيبويه) من ناحية الخمول في الذكر لا يختلف عن زملائه واقرانه الدارسين معه على الخليل وهم: النضر بن شميل، علي بن نصر، أبو فيد مؤرج السدوسي. وهنا تواجهنا رواية قد تناقض هذا الزعم لأنها تدل على ان (سيبويه) كان معروفاً يقصده كبار العلماء ويجلونه، وهي تلك الرواية التي تحاول ان تظهر عظمة (سيبويه) على حساب شخصية الاخفش الأوسط التي تبدو هزيلة مهزوزة إزاء شخصية (سيبويه) «فقد روى المازني قال: حدثني الاخفش قال: حضرت مجلس الخليل فجاء (سيبويه) فسأله عن مسألة وفسرها له الخليل، فلم أفهم ما قالا. فقمت وجلست له في الطريق. فقلت له: جعلني الله فداك، سألت الخليل عن مسألة فلم افهم ما ردّ عليك ففهّمنيه. فأخبرني بها فلم تقع لي ولا فهمتها. فقلت له: لا تتوهم أني أسألك اعناتا، فأنني لم أفهمها ولم تقع لي، فقال لي: ويلك، ومتى توهمت أني اتوهم أنك تعنتني، ثم زجرني وتركني ومضى»[1] وهذه الرواية -فيما نظن- مختلقة، فهل يعقل ان الاخفش، وهو أكبر سناً من (سيبويه)، وهو العربي الفصيح القح الذي كان «اعلم الناس

(١) معجم الادباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت الحموي: تحقيق د. إحسان عباس، ج٥ - ص٢١٢٨، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان ١٩٩٣

واحذقهم بالجدل»[١] والذي «لم يكن في القوم -يعني البصريين- اعلم منه، نبههم على عوار (الكتاب) وتركهم»[٢] والذي تتلمذ على الخليل قبل (سيبويه)[٣].. هل يعقل انه هو الذي يمكن ان يظهر بمثل هذه الصورة التي تصر الرواية على تصويره بها تلميذا بليداً لا يفهم أسئلة زميل له ولا أجوبة استاذه عليها، ثم ننظر الى تصنع الرواية في جعل الاخفش ينتظر بفارغ الصبر انتهاء المجلس ليجلس للتلميذ في الطريق فيستفهم منه عما لم يفهمه اثناء المحاورة، ودُونَهُ الأستاذ فهو اجدر بأن يستفهم منه، ثم لننظر الى نهاية الرواية التي تنقل عن لسان الاخفش نفسه: (ثم زجرني، وتركني، ومضى) فأيّ هوان هذا الذي يرتضيه الاخفش من هذا الشاب، وكيف يبقى -والحالة هذه- على حبّه له واحترامه المتزايد له. ويقول أحد معاصري (سيبويه)، وهو معاوية بن بكر العليمي «عمرو بن عثمان، قد رأيته، وكان حَدَثَ السنّ، كنت أسمع في ذلك العصر أنه أثبتُ من حمل عن الخليل بن أحمد، وقد سمعته يتكلم ويناظر في النحو، وكانت في لسانه حُبسة، ونظرت في كتابه، فعِلمُه أبلغُ من لسانه»[٤] ظاهر هذه الرواية ان (سيبويه) كان معروفا وذائع الصيت، ولكن أرى ان معاصره هذا يتحدث عنه بصيغة التشكك توحي بان (سيبويه) لم يكن اكثر من تلميذ يطلب العلم فانظر الى قوله «كنت اسمع...» ثم قال «وكان حدث السن» فكأن القول منه يحمل استنكاراً لان يكون شخص حدث السن وفي لسانه حبسة أهلاً لان يتبوأ مكانة تجعله «اثبت من حمل عن الخليل» فلهذا رأينا هذا المعاصر يبدأ بنسبة هذا الزعم إلى ما سمعه من الناس فيرمي بتبعته عليهم لأنه حينما نظر في كتابه وقابله بما سمعه من مناظراته وجد فارقاً كبيراً بينهما فالكتاب ابلغ من صاحبه.إن هذه (الحبسة) في كلام (سيبويه) مهمة جداً فيما نحن بصدده وتقف علامة استفهام في قدرة (سيبويه) على صنع كتاب لا يَقوى الأقحاح من فصحاء العرب على صناعته. يشير بروكلمان[٥] إلى ان (سيبويه) كان بادى العي في الكلام، وانه لم يكن يسيطر على العربية في حديثه، وان قارئ كتابه يجد

(١) مراتب النحويين (لابي الطيب اللغوي) تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم: ص 68، مكتبة نهضة مصر - القاهرة.
(٢) المصدر نفسه: ص٦٨
(٣) ينظر طبقات النحويين واللغويين لابي بكر بن محمد بن الحسن الزبيدي الاندلسي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: ص73، الطبعة الثانية دار المعارف - مصر 1392ه - 1973م.
(٤) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي: ص67-66. ومعجم الادباء لياقوت الحموي الرومي تحقيق: الدكتور إحسان عباس: ج٥ ص٢١٢٤، ووفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان لابن خلكان، تحقيق: الدكتور إحسان عباس: ج٣ ص٤٦٥، دار صادر بيروت ١٩٧٢
(٥) تاريخ الادب العربي كارل بروكلمان ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار: ج٢ ص١٣٥، الطبعة الخامسة، دار المعارف - القاهرة.

قلة حيلته، وظهور عجزه وغموضه وابهامه في التعبير، كأنه يعالج اللغة علاجاً.ويرى الدكتور صاحب جعفر أبو جناح ان هذه الحبسة في لسان (سيبويه) «كانت تعوقه عن الانطلاق في المناظرة، كما مر بنا في مناظرته مع الاصمعي، وان لم تكن عائقاً له عن التصدر في حلقته لتدريس طلابه وأقرانهم»[1].في حين يرى الأستاذ عبد السلام هارون رأياً مناقضاً في ذلك فيقول: «لعل تلك الحبسة، على ما يبدو من مبالغة في تصويرها، هي التي دفعته إلى التأليف، وتنحت به عن مقام الاستاذية الواسعة الى مقام التأليف البارع المقتدر، الذي يجانبه فضول القول وفضول الفكر»[2]

المبحث الثاني: عُمْرُ (سيبويه) وزمن تأليف وشيوع (الكتاب)

❖ المطلب الأول: عُمرُ سيبويه

لسنا في هذا الموضع خائضين في لُجج الاضطراب في تحديد سنة ولادة (سيبويه) وسنة وفاته فقد سبق ان درسها دارسون متخصصون ولكننا سنرجح أنسب الاقوال فيهما فنعتمد ما اخترناه في دراستنا هذه. فأما ولادته فلم تذكر الروايات تحديداً لها ولكن الدكتورة خديجة الحديثي[3] وصلت إلى استنتاج مدروس ومستنبط من دلالات بعض الروايات التي تشير إلى ان (سيبويه) قدم إلى بغداد أيام الرشيد وهو ابن اثنين وثلاثين سنة، وتوفي وله نيف وأربعون سنة، وان أول اساتذته هو عيسى بن عمر المتوفى سنة (١٤٩ه) وبعملية حسابية لدلالات هذه الأرقام انتهت إلى تحديد سنة ولادة (سيبويه) بـ (١٣٥ه) على وجه التقريب.

أما سنة وفاته فان الروايات تتفاوت في تحديدها تفاوتاً عجيباً لأنها تبدأ في التحديد من سنة (١٦١ه) ولا تنتهي الا عند (١٩٤ه) أي انها تستغرق من الزمن (٣٣) سنة وهي سنوات تعادل في عددها سني عمر (سيبويه) او قد تزيد. فهل هناك اضطراب اشد من هذا الاضطراب في شخص يفترض ان لا يتنازع في أمره اثنان فما بالك في تنازع الجميع فيه؟! فأي سنة من هذه السنوات العديدة هي المرجحة؟.. ان سنة (١٨٠ه) هي السنة التي عليها أكثر المؤرخين[4]ومن ذلك نستنتج ان عمره ناهز (٤٥) سنة، وهنا

(١) من اعلام البصرة: (سيبويه): ص٥٨-٥٩.
(٢) الكتاب: تحقيق عبد السلام محمد هارون: ج١ ص١٦، مقدمة المحقق الطبعة الثالثة عالم الكتب ١٤٠٣ه - ١٩٨٣م.
(٣) كتاب (سيبويه) وشروحه (د. خديجة الحديثي): ص١٩-٢٠. و(سيبويه) إمام النحاة علي النجدي ناصف: ص٦٩، الطبعة الثانية عالم الكتب القاهرة ١٩٧٩.
(٤) ينظر الكتاب: ج١ ص١٨ (مقدمة المحقق)

سنقوم بإجراء تطبيق أو تقسيم لهذه السنوات على ما يمكن تحديده من مراحل العمر الطبيعي للإنسان معتمدين على ما ورد في خزانة الادب نقلاً عن ابن حبيب حيث قال: «زمان الغلومّية سبع عشرة سنة، منذ يولد إلى ان يستكملها، ثم زمان الشبابية سبع عشرة سنة إلى ان يستكمل أربعا وثلاثين، ثم هو كهل سبع عشرة سنة إلى ان يستكمل احدى وخمسين سنة، ثم هو شيخ إلى ان يموت»[1] وسيكون لدينا هذا التقسيم:

١ – ١٧سنة	١٧ – ٣٤ سنة	٣٤ – ٥١ سنة	٥١ – ... سنة
الغلومية	الشبابية	الكهولة وصل (سيبويه) الى منتصفها تقريباً لان عمره ٤٥ سنة	الشيخوخة لم يصل إليها (سيبويه)

ونحن نفترض ان سن (الغلومية) لم تكتمل عند (سيبويه) بـ (١٧) سنة فقط وذلك لأنه فارسي الأصل والمولد نشأ في بيئة فارسية. ومعروف ان اكتساب اللغة في مرحلة الطفولة والنشأة يكون اكثر رسوخاً وسرعة من اكتسابها في الكبر، وهذا ما يؤكده علم اللغة الحديث، وهذا ما وجدنا اثره في (سيبويه) في الكبر في تلك الحبسة التي سجلناها قبل قليل، ولهذا فلكي يتعلم (سيبويه) العربية عليه ان يمضي سنيناً من عمره يختلط فيها بمتكلمي العربية من العرب ولهذا نفترض ان السن المخصص للغلومية قد قضاها (سيبويه) في تعلم اللغة العربية كلغة للحديث والمخاطبة مع شيء من دراسة اساسيات العربية كلغة للكتابة والدرس أي ان مرحلة الشبابية هي التي ستكون مرحلة الغلومية الحقّة عند (سيبويه) حيث قضاها في حلقات الدرس طالباً للعلم، ولهذا لم يتبقَ إلا مرحلة الكهولة لتكون هي التي سينتقل فيها (سيبويه) من مرحلة التعلم الى مرحلة التأليف وهو كما نرى محدده بالعشر السنوات الأخيرة من عمره وبهذا نصل الى ان المدة بين سنة (١٧٠–١٨٠ه) هي المرشحة لتكون زمناً لتأليف (الكتاب). وإذا عرفنا ان الخليل توفي سنة ١٧٠ه فربما نستنتج ان السنة الأخيرة من حياة الخليل شهدت ولادة (الكتاب) ان كان ل(سيبويه) يد فيه، وبهذا الاستنتاج نتفق مع الرأي القائل بان (الكتاب) وضع جزء منه في حياة (سيبويه) والبقية وضعت بعد وفاته[2]

(١) خزانة الأدب ولبّ لُباب لسان العرب تأليف عبد القادر بن عمر البغدادي تحقيق: عبد السلام محمد هارون: ج٢ ص ١٥٤، الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١٨ه – ١٩٩٧م.

(٢) كتاب (سيبويه) وشروحه (د. خديجة الحديثي): ص٧٧. و(سيبويه) امام النحاة: ص١٣٠–١٣١. والكتاب: ج١ ص٢٤ (مقدمة المحقق)

❖ المطلب الثاني: زمن تأليف وشيوع الكتاب

يجمع أغلب الدارسين على ان كتاب (سيبويه) لم يظهر ويعرف وينتشر إلا بعد وفاة (سيبويه)، وهذه مسألة ثبت بطلانها ببطلان الرواية التي يعتمد عليها القائلون بهذا الرأي نفسها، تلك الرواية تقول إن الاخفش لما رأى أن كتاب (سيبويه) لا نظير له في حسنه وصحته، وانه جامع لأصول النحو وفروعه استحسنه كل الاستحسان، فيقال ان أبا عمر الجرمي وابا عثمان المازني -وكانا رفيقين- توهما ان أبا الحسن الاخفش قد همّ ان يدعيّ (الكتاب) لنفسه، فقال أحدهما للأخر: كيف السبيل إلى اظهار (الكتاب) ومنع الاخفش من ادعائه؟ فقال له ان نقرأه عليه، فإذا قرأناه عليه أظهرناه وأشعنا أنه ل(سيبويه)، فلا يمكنه ان يدعيه، وكان أبو عمر الجرمي موسراً وأبو عثمان معسراً، فأرغب أبو عمر الجرمي أبا الحسن الاخفش وبذل شيئاً من المال على ان يقرئه وأبا عثمان المازنيَّ (الكتابَ)، فأجاب الى ذلك وشرعا في القراءة عليه، وأخذا (الكتاب) عنه، وأظهرا أنه ل(سيبويه) وأشاعا ذلك، فلم يُمكّنا أبا الحسن ان يدّعي (الكتاب)، فكانا السبب في إظهار أنه ل(سيبويه)[1] هذه الرواية واهية مع تواترها وشيوعها. وتحمل وهنا في ذاتها، إذ يمكن ان نثير عليها النقاط الآتية:

١. يفهم من هذه الرواية ان النسخة الوحيدة للكتاب كانت عند الاخفش فحسب، وأنه لم يُطلع أحداً عليها، فكيف عرف بأمرها كلٌّ من الجرمي والمازني معرفة من قرأها فعرف ما فيها من قيمة علمية خطيرة تستدعي الخشية من ان تنسب ظلماً لغير صاحبها! .. فهل كلّ ذلك منهما بدافع الحب والوله والاعجاب ب(سيبويه)؟ لا نظن ذلك لانهما لم يعرفا بعد (سيبويه) ولاما جاء به من علم، ولم تكن تربطهما ب(سيبويه) رابطة أو وشيجة من أي نوع.. أم هي بدافع الحقد على الاخفش؟ وهذا آمر لا نجد من الاخبار ما يؤكده إذ لا سابق جفوة أو خلاف بين الاثنين والاخفش. وقد يقال انما أرادا العلم وحرصا على أخذه وتعليمه للناس خدمة للعلم ذاته، فإننا قد رأينا الرواية قد حددت غرضهما بغير وجه العلم، فكل ما كانا يسعيان اليه هو تفويت الفرصة على الأخفش على وهم ان يدّعيه لنفسه!..

٢. لم نعرف عن طبع الاخفش وأخلاقه ما يسوغ حصول هذا الوهم المزعوم في ذهن الجرمي

(١) نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري: تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم: ص١٢٠، دار الفكر العربي، القاهرة ١٤١٨-١٩٩٨.

والمازني. اننا نرى في استجابة الأخفش لطلبهما في قراءة (الكتاب) عليه بهذه السهولة أكبر دلالة على أنّ الأخفش لم يكن من السوء ليُظنَّ به مثل هذا الظن السيء، وسرقة العلم أبشع صور السرقة. ولو كان الأخفش قد همَّ بذلك فعلا، فهل يستطيع هذان ان يمنعانه بدراهمهما التي لا تكفي لأغراء طامعٍ بعلم، فاشتهار الانسان بالعلم يعطي مكسباً معنوياً ومادياً لا يوازي دراهم قليلة تُعطى بمنّة. ولكنها هي أخلاق العلماء تعصمهم عن المتاجرة بعلم ليس لهم، وبوجهٍ غير مشروع.

٣. هناك روايات أخرى تؤكد بان الأخفش قد أقرأ (الكتاب) أناساً غير الجرمي والمازني مما يدل على انه لم يكن ظنيناً باطلاع الناس على نسخته. فيقال انه قد أقرأها الكسائي،[١] والكسائي علم كوفيّ على غير مذهب الاخفش، ومع هذا لم يظنّ بنسخته عليه. كما تقول الروايات أنه أقرأها السجستاني مرتين[٢].

٤. تريد هذه الرواية ان تنسب فضلاً للمازني والجرمي على (الكتاب) وصاحبه في إشاعته بين الناس. ولا فضل سابق يسجل لهما في ذلك؛ لان (الكتاب) كان معروفاً متداولاً قبل ان يحاولا إشاعته كما تدعي الرواية. فلو أعدنا النظر والتدقيق في الروايات فسنجد ان للكتاب نسخاً متعددة، وليست نسخة الاخفش هي النسخة الوحيدة في العالم في ذلك الوقت. ولنستعرض النسخ الأخرى التي كانت موجودة والتي تصرح بها الروايات أحيانا أو اننا نستشفها بين اسطرها ومنها:

- نسخة يونس (ت١٨٣) ويرد ذكر هذه النسخة في الرواية التي تزعم ان يونس حين بُلِّغ ان (سيبويه) ألف كتاباً في الف ورقة من علم الخليل استنكر ذلك وقال: ومتى سمع (سيبويه) من الخليل هذا كله؟ جيئوني بكتابه فيقال انه جُلبت له نسخة منه فنظر فيها فتبين له أمانته فيما نقل عنه.[٣] ومع بلاهة هذه الرواية إلا انها تدل ضمناً على ان (الكتاب) كان معروفاً متداولاً فمن أين أتوا بالكتاب لو كانت له نسخة واحدة يحتفظ بها الاخفش لنفسه؟

(١) أخبار النحويين البصريين للسيرافي: تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجة: ص٤٠، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي: ص٧٣.

(٢) ينظر نزهة الالباء للأنباري: ص١٦٨. وتهذيب الكمال في أسماء الرجال لجمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي: ج١٢ – ص٢٠٤، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ١٤٠٠ه – ١٩٩٢م.

(٣) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي: ص52. معجم الادباء: ص82.

- نسخة ابي زيد الانصاري (ت ٢١٥ه) فقد كان يذكر ويقول « فإذا سمعته يقول: حدثني من أثق بعربيته، فإنما يعنيني»[١]. وهذا يعني ان أبا زيد كان قد قرأ (الكتاب) ونظر فيه فوجد عبارة (سيبويه) وقال فيها ما قال.
- نسخة معاصرة (معاوية بن بكر العلميي الذي يقول في (سيبويه) «نظرتُ في كتابه فعلمه أبلغ من لسانه»[٢]
- نسخة الشاعر ابي نؤاس (ت١٩٥ه) حيث تذكر الروايات انه نظر في نحو (سيبويه)[٣] وطبيعي ان ذلك لا يتم الا بقراءة (الكتاب)
- نسخة الفراء التي آلت إلى الجاحظ والتي تزعم الروايات ان الجاحظ أهداها الى الوزير ابن الزيات والذي يهمنا من تلك الروايات قول ابن الزيات للجاحظ «أو ظننت أن خزائننا خالية من هذا (الكتاب)؟ فقال: ما ظننت ذاك؛ ولكنها بخط الفرّاء ومقابلة الكسائي وتهذيب عمرو بن بحر الجاحظ. فقال له ابن الزيات: هذه أجلّ نسخة توجد وأغربها. فأحضرها إليه، فسرّ بها، ووقعت منه أجمل موقع.»[٤] ان لهذه الرواية دلالة على ان (الكتاب) كان شائعاً لا تخلو منه خزائن الكتب بل نجد ان في استفهام ابن الزيات الانكاري على الجاحظ ما يؤكد انه من الشيوع بما لا ينبغي لنبيه ان يتصور ان خزانة كتب قد لا تحتويه. ثم انظر الى جواب الجاحظ الذي أراد أن يدفع عن نفسه تهمة عدم النباهة في ذلك فقال إنه انما اختار (الكتاب) لندرة نسخته التي يهديها لا لندرة (الكتاب) نفسه! كذلك في هذه الرواية إشارة إلى أن الكسائي كانت له نسخة يقابل بها.

(١) المعارف لابن قتيبة ابي محمد عبد الله بن مسلم: تحقيق دكتور ثروت عكاشة: ص٥٤٤ الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ومراتب النحويين: ص٤٢. ونزهة الالباء للأنباري: ص١١٣، و الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزبيري، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محمد البغدادي: ج٢ ص١٧٨٨، الطبعة: الأولى، مجلة الحكمة، مانشستر ـ بريطانيا ١٤٢٤ه ـ ٢٠٠٣م.

(٢) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي: ص٦٧. ومعجم الادباء: ج٥ ص٢١٢٤. ووفيات الاعيان لابن خلكان: ج٣ ص٤٦٥

(٣) ينظر نزهة الالباء للأنباري: ص٧٤. وتاريخ بغداد او مدينة السلام تأليف ابي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي: تحقيق مصطفى عبد القادر عطا: ج٧ ص٤٤٩، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٤٢٥ه – ٢٠٠٤م

(٤) إنباه الرواة على أنباه النحاة: الوزير جمال الدين القفطي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: ج٢ ص٣٥١، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ١٤٠٦ه ـ ١٩٨٦م.

- نسخة الكسائي زيادة على الإشارة التي ذكرناها قبل قليل عن امتلاك الكسائي لنسخة (الكتاب) فهناك روايات أخرى تؤكد ان الكسائي قرأ (الكتاب) على الاخفش ووهبه قدرا من المال لقاء ذلك[١]

- نسختا الرياشي وابي عبيدة: اذ يروى عن المازني انه قال: «كنا عند ابي عبيدة يوما وعنده الرياشي يسأله عن ابيات في كتاب (سيبويه) وهو يجيبه، ثم فطن فقال: أتسألني عن ابيات في كتاب الخوزي؟ لا اجيبك»[٢]

٥. قد تكون نسخة الاخفش المشار إليها ليست نسخة (سيبويه) فليس في الاخبار ما يدل على ان (سيبويه) أودعها عنده. والمثير أنى وجدت إشارة الى ان (سيبويه) أوصى ان يدفن كتابه معه غضباً على معاصريه لما نال منهم، ذكر ذلك الأستاذ عبد السلام هارون ولم يُحل إلى مصدرٍ له في ذلك ولكنه وصف الامر هذا بالخرافة[٣].

٦. (الكتاب) لا يمكن ان يؤلف سراً، لان (سيبويه) ان كان أراد ان يؤلف كتاباً ضخماً في علم جليل، وان يدون فيه آراء شيوخه واقوالهم ومروياتهم، فكان الاجدر والمتوقع ان يعلن عن رغبته هذه ويشعر اساتذته بنيته تدوين علمهم. وحتى لو لم يستشرهم فما كان بمقدوره ان يخفي جهده في عمل ضخم كهذا ومع ذلك لا نجد في الروايات ما يشير الى دراية الخليل بعمل تلميذه، وكذلك رأينا ان استاذه يونس قد فوجئ بكتاب تلميذه بعد موته فاستغرب ان يكون له من الوقت والقدرة ما يكفي لتأليف كتاب بألف ورقة في علم الخليل ثم ان (الكتاب) ظهر متكاملاً لم يزد عليه احد وكان ظهوره في وقت النهضة العلمية (عصر الرشيد والمأمون) التي شهدت نشاطاً متزايداً بالمناظرات العلمية والمحاورات والجدل الفكري والعقلي والتأليف والتصنيف، فهل يمكن لشخص له طموح في الظهور والتفوق ان يترك جهدا لم يسبقه احد إليه طيَّ النسيان والكتمان في زمن يتصارع الادعياء وليس الاصلاء لاعتلاء المجد بأعمال أقل شأناً؟، ثم ان (الكتاب) قد حوى جل مسائل اللغة ونقل كل الآراء التي قيلت في ذلك العصر. وهي لابد ان تكون المعين والمنهل الأساس ل(سيبويه) نفسه يستعين بها في الدراسة والتدريس ويحق لنا

(١) ينظر طبقات النحويين واللغويين للزبيدي: ص73. وأخبار النحويين للسيرافي: ص40.
(٢) مراتب النحويين: ص 76.
(٣) كتاب (سيبويه): ج١ ص ٤٣ (مقدمة المحقق)

أن نتساءل «ماذا كان (سيبويه) يقرئ طلابه في حلقته التي كان يعقدها لهم. ألم يكن يقرأ عليهم فصولاً أو أبواباً من مباحث (الكتاب) الذي كان عاكفاً عليه سنين طويلة»[١]

المبحث الثالث: ما قبل (الكتاب) وأثناءه

مع ان (سيبويه) عاش عصر نهضة التدوين وظهور الكتب المصنفة، وانه قد سبق بمؤلفات عديدة في المجالات المعرفية المتنوعة، فلن نجد كتاباً سبق (الكتاب) أو عاصره في الظهور. وكل الذي ذكروه: كتابا عيسى بن عمر (الاكمال) و (الجامع)، وكتاب الرؤاسي (الفيصل)، كما نسب الى الكسائي (مختصر في النحو)[٢]. فالعجب ان (الكتاب) دون لكثير من النحاة أراءهم واحكامهم النحوية العميقة، ولكن هؤلاء النحاة الكبار لم يعمدوا إلى تأليف كتاب في النحو، مع قدرتهم على ذلك، فكأنهم تركوا هذه المهمة لمن يبادر من تلامذتهم بتدوينه عنهم في حلقاتهم ومجالسهم، هذا مع انهم كان قد ألفوا مصنفات في غير مجال النحو كاللغة والنوادر ومعاني القرآن والتفسير.. فتركوا الساحة خالية حتى جاء (الكتاب) المنسوب لـ(سيبويه).

فأما (الجامع) و (الاكمال) المنسوبان الى عيسى بن عمر فأمرهما مشكوك فيه فقد قال السيرافي: «لم يقعا إلينا، ولا رأينا أحداً ذكر انه رآهما»[٣]، ولكن المبرد يذكر انه رأى أحدهما وقرأ أوراقا منه «فكان كالإشارة الى الأصول»[٤] وتعبيره هذا يشير الى انه لا يعتد به ولا يقرب ان يكون اصلاً للكتاب، وإلّا لكان المبرد أدرك ذلك وصرح به، بل لكان ذلك مدعاة لان يخفف من اعجابه بالكتاب. والغريب ان الحلواني في (المفصل في تاريخ النحو) يبني تصوراً يستوحيه من عنواني الكتابين فيذهب إلى ان كتاب (الجامع) ينحو في عرض المادة نحو الاستقصاء ويسعى الى جمع مسائل النحو التي ورثها مجلس الدرس وحلقاته عن ابي الأسود وتلامذته، وذلك واضح في عنوانه. ولكنه بعد ان فرغ منه أدرك ان هناك أشياء لم ينتبه إليها فأنشأ كتابا آخر أسماه (الاكمال).[٥]

اما (الفيصل) للرؤاسي. فيقال ان صاحبه اول من وضع كتاباً في النحو من الكوفيين ويروى انه قال:

(١) من اعلام البصرة: (سيبويه): ص٧٧
(٢) نزهة الالباء: ص٦٩. وينظر مقال (التدوين وظهور الكتب المصنفة في العهود الإسلامية الأولى للدكتور صالح احمد العلي: ص٤٥-٤٦، مجلة المجمع العلمي العراقي: مجلد ٣١، العدد ٢، ١٩٨٠م
(٣) أخبار النحويين للسيرافي: ص٢٥.
(٤) مراتب النحويين: ص٢٣
(٥) المفصل في تاريخ النحو العربي (الدكتور محمد خير الحلواني): ص١٦٢، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٩ه - ١٩٧٩م.

بعث الي الخليل يطلب كتابي (الفيصل) فقرأه، فكل ما في كتاب (سيبويه): وقال الكوفي كذا، فإنما عني الرؤاسي هذا.[١] فالرواية هذه تنسب قراءة الكتاب (الفيصل) الى الخليل وليس الى (سيبويه) فعلى فرض صحته فليس هو أساس (الكتاب) أيضاً.

مما سبق نستنتج ان (الكتاب) ليس له سوابق، إذ يرى المستشرق الألماني (كارتر) – وهو من أكثر المستشرقين المعاصرين عناية وتخصصا ب(سيبويه) وكتابه – ان كتاب (سيبويه) يظل مثيراً للجدل حول مسائل تتصل بتاريخ النحو العربي ونشأته؛ لأن «ما يلفت النظر ان لا يكون – فيما يبدو – لعمل ضخم مثل (الكتاب) سوابق؛ إذ يصعب مقاومة الرغبة في البحث عن تأثيرات أو نماذج سابقة»[٢]

المبحث الرابع: دور العلماء في تأليف (الكتاب)

ونحن في هذا الصدد لا نسعى إلى إنكار فضل (سيبويه)، أو التقليل من قيمته، أو الاستهانة بعلميته، أو التشكيك في دوره التاريخي في ترسيخ ركائز الدرس النحوي واللغوي المبكر والرائد في الدراسة اللغوية العربية. بل نحن نقوم بنقل الروايات التي تشكك في نسبة (الكتاب) الى (سيبويه)، والتي قد يكون في بعضها شيء من الصحة فيما نرى، حيث يروي ابن النديم في الفهرست حكماً خطيراً في نسبة (الكتاب) يرويه عن ثعلب حيث كتب بخط يده: «اجتمع على صنعة كتاب (سيبويه) اثنان وأربعون إنساناً منهم (سيبويه) والأصول والمسائل للخليل»[٣].ويقول الدكتور تمام حسان: «ان كتاب (سيبويه) كان في مادته نتاج ذلك العصر أكثر مما كان نتاج (سيبويه)»[٤]. ويقول د. أنيس فريحة» أول كتاب ألف في احكام العربية وقواعدها كتاب (سيبويه) الذي يعرف (الكتاب) وهو تام الصنعة في شموله وعمقه ودقة مصطلحه، وقد شك كثيرون في ان يكون (سيبويه) قد توصل الى وضع علم جديد بمصطلح مبتكر دون ان يكون قد اعتمد مصادر قديمة..»[٥]

ولهذا، ومن بين خضم الروايات المضطربة التي سقناها نستطيع ان نقرر ونحن بصدد البحث

(١) إنباه الرواة عن أنباء النحاة: ص١٠٦ – ١٠٧. والفهرست لابن النديم: ص٩٦ دار المعرفة بيروت – لبنان.
(٢) ينظر كتاب (سيبويه) في الدراسات الغربية المعاصرة «ميكائيل كارتر» نموذجا، محمد الوحيدي: ص٢١٩، جامعة الملك سعود، قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب، بحوث المؤتمر الدولي الثالث (المنجز العربي اللغوي والادبي في الدراسات الأجنبية) ١٤٤٢ه – 2020م
(٣) الفهرست لابن النديم: ص٧٦.
(٤) اللغة بين المعيارية والوصفية: الدكتور تمام حسان: ص١٦٠، الطبعة الرابعة، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠١م
(٥) نظريات في اللغة: انس فريحة: ص٧٣، الطبعة الثانية، دار الكاتب اللبناني – بيروت ١٩٨١م.

عن ظهور واشتهار (الكتاب) – انه لم يثبت لدينا يقيناً سنة أو مدة محددة لتأليفه إلا على وجه التخمين. ولكننا وجدنا ان (الكتاب) كان معروفاً متداولاً وعند الكثير من العلماء بنسخ منه ورأينا ان (الكتاب) متكامل البناء شامل المادة، وعرفنا من اخبار (سيبويه) وشخصيته ما لا يؤهله لإبداع مثل هذا العمل الرائع المبهر، كل هذه أمور تجعلنا لا نتردد في قبول رواية ابن النديم والاخذ باحتمال صدقها وبأدلة من الرواية – زيادة على ما ذكرنا – فالرواية أولاً تنسب الكلام الى ثعلب تدويناً بخط يده، وهذا ما يزيد الوثوق بصحته، ولان الرقم الذي يذكره ثعلب هو (٤٢) انساناً أي يذكر الاحاد مع العشرات وهذا يعني ان الرقم مقصود لذاته على وجه الدقة وليس على وجه التقريب كما يذكر د. صاحب أبو جناح.[١]

اذن الاحتمال وارد في ان تكون أكثر من يد قد أسهمت في صنع (الكتاب) بدرجة أو بأخرى ليكون مستوعباً لكل نحو البصريين آنذاك فأما (سيبويه) فأننا لا ننكر ان تكون له يدٌ أسهمت بالكثير مما في (الكتاب) ولكننا يمكن ان نحدد ان «فضل (سيبويه) يتضح في بسط المادة وفي التبويب»[٢] وربما يكون ذلك سبباً في ان يقفز اسم (سيبويه) أكثر من غيره ليحتل مكان الصدارة والواجهة في هذا العمل حتى نُسب اليه فازداد (سيبويه) تشريفا به، وليس العكس فإننا قد وجدنا أن عظمة (الكتاب) أكبر من عظمة صاحبه. فأن ما قيل من وصف للكتاب من مثل «كتاب (سيبويه) لا يحتاج من فهمه الى غيره» و: كتاب (سيبويه) يُتعلم منه النظر والتفتيش»[٣] ... الخ

فهذه الصفات، وغيرها الذي قيل كثير، لا تقال إلا في جهد جبار يتعاون على إبرازه جملة من العلماء: يجمعون المادة له ويستقرئونها ويحللونها ويقيسونها، ويبنون أحكاماً عليها، ويستنبطون قياسات عليها، ويحصون ما شذ، ويعللونه، ويجدون له الأدلة ويجلبون له الشواهد.

كل هذا جهد أكبر من ان يقدر عليه شخص واحد بمثل مواصفات (سيبويه) ذي (الحبسة) والعي في الكلام وذي العمر القصير.. فأنى تأتى له كل ذلك؟!.أما الأسماء التي تمتد خيوط الشك اليها في الاشتراك بهذا الجهد الجماعي بشكل أو آخر فهي:

١. ~~الأخفش~~: هو راوي (الكتاب) الذي ينتهي عنده السند «فكل الطرق مسندة إليه»[٤]. فاذا كان

(١) من اعلام البصرة: (سيبويه): ص٦٨ (الهامش)
(٢) اللغة بين المعيارية والوصفية: ص١٦٠.
(٣) الكتاب: ج١ ص٥ – ٦
(٤) اخبار النحويين البصريين: ص٣٩، ونزهة الالباء: ص١٢٠.

هو النهاية في هذا السند وليس بعده الا اسم (سيبويه) الذي نفترض انه مساهماً وليس صانعا للكتاب، فان المجال يبقى واسعاً لان تكون يد الاخفش لها معطيات في (الكتاب) ومادته ويعزز ذلك ما تذكره الروايات من ان (سيبويه) كان يشركه في التأليف وانه كان يعرض عليه ما يريد تدوينه[١]

٢. ~~علي بن نصر الجهضمي:~~ وهو رفيق (سيبويه) في التلمذة على الخليل، فكان مطلعاً على علم الخليل بتفاصيله كما كان (سيبويه) كذلك، ويروى عنه انه قال: «قال لي (سيبويه) حين أراد ان يضع كتابه: تعال حتى نتعاون على احياء علم الخليل»[٢] ولكنه وقف عند هذا فلم يذكر إن كان قد استجاب لطلب (سيبويه) والى أي مدي ام لا؟! إلّا أن المجال يبقى مفتوحا لوضع احتمال ان تكون له يد في (الكتاب) ايضاً

٣. ~~الجرمي:~~ تدخله واضح وصريح في (الكتاب) في مجال نسبة الشواهد الى قائلها فهو الذي أعلن ذلك[٣] ثم ان الرواية التي تزعم ان الجرمي والمازني هما صاحبا الفضل في انتزاع (الكتاب) من الاخفش ونشره بين الناس تثير تساؤلاً مفاده: لم هذا الإصرار منهما على ان ينتشر (الكتاب) على يديهما لا على يد الاخفش؟ والجرمي يقول: «انا مُذ ثلاثون أُفتِي الناس في الفقه من كتاب (سيبويه)»[٤]. فهو قادر على الانتفاع من (الكتاب) والتصرف فيه بالوجه الذي يريد. ثم ان هناك مسألة مهمة تخص الجرمي وهي انه قد «أدرك من أخذ عنه (سيبويه) واختلف الى حلقة يونس»[٥] فبمَ يقل الجرمي عن (سيبويه)؟! وهنا إشارة خطيرة حيث يعترف الجرمي بأنه لم يضع كتاباً في النحو ولكنه اختصر كتاب (سيبويه)[٦]

٤. ~~الجاحظ:~~ الشك في الجاحظ يأتي من انه كان المؤهل لان يقول كلمة الفصل في هذا الخضم الملتبس بالحيرة، ولم يفعل، وإذا كان الجاحظ مقتنعاً بما هو سائد من هذا الامر، فلماذا أغفل في معظم مؤلفاته الأخذ عن (سيبويه) أو الكتابة عنه تفصيلاً أو مجملاً، نقداً، أو تقريظاً، وهو

(١) مراتب النحويين: ص٦٨ - ٦٩
(٢) الكتاب: ج١ ص٨
(٣) الكتاب: ج١ ص٩
(٤) الكتاب: ج١ ص٥-٦
(٥) الكتاب: ج١ ص١٠
(٦) ينظر طبقات النحويين واللغويين للزبيدي: ص76.

المعروف بأنه موسوعي يكاد يكتب عن كل شيء ويتحدث عن أي انسان حتى من كان من عامة الناس أو مجانينهم أو بُخلائهم أو فصحائهم ومن كان عيياً وبه حبسة، كما كان (سيبويه)، فلماذا غاب (سيبويه) أو كتابه عن صفحات كتبه؟![1]

٥. ~~الناشئ~~: هذا من تلاميذ (سيبويه) أخذ النحو عنه وعن الاخفش. يروى انه وضع (كتباً)-في النحو قبل أن يستتمّها وتؤخذ عنه[2]. ونلاحظ انها جاءت بصيغة الجمع (كتب) وليس (كتاباً)، ولا نفهم كيف تكون هذه الكتب جميعها غير مكتملة، وكلها لم تؤخذ عنه، ويقول محمد بن يزيد «لو خرج علم الناشئ الى الناس لما تقدمه أحد»[3]. لاحظ عبارة (لما تقدمه أحد) أي انه قد يكون أفضل من (سيبويه).. فلم يظهر علمه؟ لعل السر في ذلك ان هذا العلم أو جزء منه تسرب الى (الكتاب) بطريقة أو أخرى فلم يعد بحاجة الى إتمام كتبه أو نشرها.

نتائج البحث:

- كشف البحث عن اضطراب وتباين كبير في الروايات التي تناولت حياة سيبويه من حيث: الاسم، المولد، مكان الولادة، سنة الوفاة، بل حتى المذهب، مما يضع علامات استفهام حول شخصيته وشهرته في عصره.
- ظهر الكتاب وانتشر وذاع صيته بعد وفاة سيبويه لا في حياته، وارتبطت هذه الشهرة بعلماء عاصروا سيبويه مثل: الأخفش، والجرمي، والمازني، وهذا يدل على ان سيبويه لم يكن له الدور الرئيسي في ترويج كتابه.
- شهرة وعظمة الكتاب لا تتناسب مع شهرة وشخصية سيبويه مما يدفع إلى الشك في كون الكتاب هو الإنجاز الشخصي لسيبويه.
- اشتراك أكثر من يد في تأليف الكتاب، أو جمع مادته وتنقيحها، ويتبين هذا من رواية ثعلب الواردة في البحث، وكذلك الروايات التي تفيد بوجود نسخ متفرقة من الكتاب،

(١) لقد عدت الى مؤلفات الجاحظ المتيسرة فلم أجده يذكر (سيبويه) الاّ في ثلاثة مواضع ولكنه ذكر عابر ولا قيمة له ولم يكن مقصودا لذاته. ينظر البيان والتبيين للجاحظ: تحقيق عبد السلام محمد هارون: ج١ ص٤٠٢، الطبعة السابعة، مطبعة الخانجي - القاهرة ١٤١٨ه‍ـ ١٩٩٨م، والحيوان للجاحظ: تحقيق محمد باسل عيون السود: ج٣ ص٢٤١ و ج٧ ص٤، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ١٤٢٤ه‍ـ ٢٠٠٣م

(٢) مراتب النحويين: ٨٥.

(٣) مراتب النحويين: ص٨٥

عند عدد من العلماء.

- الكتاب لم يؤلف في السر؛ وذلك نظراً لحجم الكتاب، وغزارة المادة العلمية فيه، وشموله لكل مادة النحو العربي، فكيف لكتاب ضخم وقيم مثله أن يُؤلف سراً.

الخاتمة

لقد أردنا في هذا البحث الموجز، ان نتتبع الحقائق المتعلقة بالكتاب، وزمن تأليفه وظهوره، وشخصية مؤلفه، إذ اوردنا جملة من الروايات المتفرقة من كتب التراجم والاعلام، ولقد وجدنا عبر تتبعنا لهذه الروايات ؛ أن الكتاب -على عِظم شأنه- لا يمكن نسبته بشكل قاطع إلى سيبويه وحده، بل ترى هذه الروايات والشواهد أن الكتاب هو ثمرة جهد جماعي شارك فيه عدد من علماء العربية، ومنهم سيبويه، فأسهم كل واحد منهم بحسب قدرته، وكان دور سيبويه في تنظيم المادة وتبويبها بمهارة ودقة متناهية قد منحته موقع الصدارة، بل هو سبب نسبة الكتاب اليه فيما نرى، ثم ان هذا البحث لا يسعى الى التقليل من شأن سيبويه، بل سعينا فيه إلى قراءة تاريخ الكتاب النحوي الأشهر في زمنه، بعين نقدية علمية، تأخذ بالروايات التاريخية ولا تسلم بها تسليماً مطلقاً، ومما سبق نستنتج أن الكتاب بصورته النهائية المتكاملة في ذلك العصر تتجاوز حدود الجهد الفردي لشخص بمثل مواصفات سيبويه، بل هو مشروع جماعي عميق لعلماء العربية في عصره.

قائمة المصادر والمراجع:

١. أخبار النحويين البصريين للسيرافي: تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر

٢. إنباه الرواة على أنباه النحاة تأليف الوزير جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف القفطي: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: الطبعة الأولى، دار الفكر العربي القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ١٤٠٦ه - ١٩٨٦م.

٣. البحر المحيط في التفسير لابي حيان الاندلسي الغرناطي: دار الفكر العربي، بيروت لبنان ١٤٣٢ه - ٢٠١٠م.

٤. البيان والتبيين: أبي عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ: تحقيق عبد السلام محمد هارون: الطبعة السابعة، مطبعة الخانجي - القاهرة ١٤١٨ه - ١٩٩٨م،

٥. تاريخ الادب العربي كارل بروكلمان ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار: الطبعة الخامسة، دار

المعارف – القاهرة.
٦. تاريخ بغداد او مدينة السلام تأليف ابي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي: تحقيق مصطفى عبد القادر عطا: الطبعة الثانية دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ١٤٢٥ه – ٢٠٠٤م
٧. تهذيب الكمال في أسماء الرجال لجمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي: تحقيق: د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ١٤٠٠ه – ١٩٩٢م.
٨. الحيوان أبي عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ: تحقيق محمد باسل عيون السود: الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٤٢٤ه – ٢٠٠٣م
٩. خزانة الأدب ولبّ لُباب لسان العرب تأليف عبد القادر بن عمر البغدادي تحقيق: عبد السلام محمد هارون: الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١٨ه – ١٩٩٧م.
١٠. سيبويه إمام النحاة تأليف علي النجدي ناصف: الطبعة الثانية عالم الكتب القاهرة ١٣٩٩ه – ١٩٧٩م.
١١. طبقات النحويين واللغويين لابي بكر بن محمد بن الحسن الزبيدي الاندلسي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية دار المعارف – مصر ١٣٩٢ه – ١٩٧٣م.
١٢. الفلاكة والمفلوكين احمد ابن علي الدُلجي: مطبعة الشعب ١٣٢٢ه
١٣. الفهرست لابن النديم: دار المعرفة بيروت – لبنان.
١٤. كتاب (سيبويه) وشروحه (د. خديجة الحديثي): الطبعة الأولى ١٣٨٦ه–١٩٦٧م، دار التضامن العراق بغداد.
١٥. الكتاب: تحقيق عبد السلام محمد هارون: الطبعة الثالثة، عالم الكتب، ١٤٠٣ه – ١٩٨٣م.
١٦. اللغة بين المعيارية والوصفية: الدكتور تمام حسان: الطبعة الرابعة، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠١م
١٧. مراتب النحويين (لابي الطيب اللغوي) تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم: مكتبة نهضة مصر – القاهرة.
١٨. المعارف لابن قتيبة ابي محمد عبد الله بن مسلم: تحقيق دكتور ثروت عكاشة: الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة.
١٩. معجم الادباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت الحموي: تحقيق د. إحسان عباس،

الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان ١٩٩٣

٢٠. المفصل في تاريخ النحو العربي (الدكتور محمد خير الحلواني): الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٩ه – ١٩٧٩م.

٢١. الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزبيري، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محمد البغدادي: الطبعة: الأولى، مجلة الحكمة، مانشستر – بريطانيا، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

٢٢. نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري: تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم: دار الفكر العربي، القاهرة ١٤١٨-١٩٩٨.

٢٣. نظريات في اللغة: انس فريحة: الطبعة الثانية، دار الكاتب اللبناني – بيروت ١٩٨١.

٢٤. وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان لابي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٢

المجلات والدوريات:

- كتاب (سيبويه) في الدراسات الغربية المعاصرة «ميكائيل كارتر» نموذجا، محمد الوحيدي: جامعة الملك سعود، قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب، بحوث المؤتمر الدولي الثالث (المنجز العربي اللغوي والادبي في الدراسات الأجنبية) ١٤٤٢ه – ٢٠٢٠م

- مقال (التدوين وظهور الكتب المصنفة في العهود الإسلامية الأولى للدكتور صالح احمد العلي: مجلد ٣١، العدد ٢، مجلة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٠م

- من اعلام البصرة (سيبويه) هوامش وملاحظات حول سيرته وكتابه: د. صاحب جعفر أبو جناح من الأبحاث المقدمة الى مهرجان المربد الثالث ١٩٧٤م، منشورات وزارة الاعلام – الجمهورية العراقية.

List of Sources and References

- Akhbār al-Naḥwiyyīn al-Baṣriyyīn* by al-Sīrāfī, Edited by Ṭāhā Muḥammad al-Zaynī and Muḥammad ʿAbd al-Munʿim Khafāja, Maktabat wa Maṭbaʿat Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī and Sons – Egypt.
- *Inbāh al-Ruwāt ʿalā Anbāʾ al-Nuḥāt* by Jamāl al-Dīn Abī al-Ḥasan ʿAlī ibn Yūsuf al-Qifṭī, Edited by Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, First Edition, Dār al-Fikr al-ʿArabī, Cairo, and Muʾassasat al-Kutub al-Thaqāfiyya, Beirut, 1406 AH – 1986 AD.
- *Al-Baḥr al-Muḥīṭ fī al-Tafsīr* by Abū Ḥayyān al-Andalusī al-Gharnāṭī, Vol. 3, p. 500, Dār al-Fikr al-ʻArabī, Beirut – Lebanon, 1432 AH – 2010 AD.
- *Al-Bayān wa al-Tabyīn* by al-Jāḥiẓ, Edited by ʿAbd al-Salām Muḥammad Hārūn, 7th ed., Al-Khānjī Press, Cairo, 1418 AH – 1998 AD.
- *History of Arabic Literature* by Carl Brockelmann, Translated by Dr. ʿAbd al-Ḥalīm al-Najjār, 5th ed., Dār al-Maʿārif, Cairo.
- *Tārīkh Baghdād (or Madīnat al-Salām)* by Abū Bakr Aḥmad ibn ʿAlī al-Khaṭīb al-Baghdādī, Edited by Muṣṭafā ʿAbd al-Qādir ʿAṭā, 2nd ed., Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, Beirut – Lebanon, 1425 AH – 2004 AD.
- *Tahdhīb al-Kamāl fī Asmāʾ al-Rijāl* by Jamāl al-Dīn Abī al-Ḥajjāj Yūsuf al-Mizzī, Vol. 12, p. 204, Edited by Dr. Bashshār ʿAwwād Maʿrūf, 1st ed., Muʾassasat al-Risāla, Beirut – Lebanon, 1400 AH – 1992 AD.
- *Al-Ḥayawān* by al-Jāḥiẓ, Edited by Muḥammad Bāsil ʿUyūn al-Sūd, 2nd ed., Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, Beirut – Lebanon, 1424 AH – 2003 AD.
- *Khizānat al-Adab wa Lub Lubbāb Lisān al-ʿArab* by ʿAbd al-Qādir ibn ʿUmar al-Baghdādī, Edited by ʿAbd al-Salām Muḥammad Hārūn, 4th ed., Maktabat al-Khānjī, Cairo, 1418 AH – 1997 AD.
- *Sībawayh: The Master of Grammarians* by ʿAlī al-Najdī Nāṣif, 2nd ed., ʿĀlam al-Kutub, Cairo, 1399 AH – 1979 AD.
- *Ṭabaqāt al-Naḥwiyyīn wa al-Lughawiyyīn* by Abū Bakr ibn Muḥammad al-Zubaydī al-Andalusī, Edited by Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, 2nd ed., Dār

al-Maʿārif, Egypt, 1392 AH – 1973 AD.

- *Al-Falāka wa al-Maflūkīn* by Aḥmad ibn ʿAlī al-Dulajī, Al-Shaʿb Press, 1322 AH.
- *Al-Fihrist* by Ibn al-Nadīm, Dār al-Maʿrifa, Beirut – Lebanon.
- *The Book of Sībawayh and Its Commentaries* by Dr. Khadija al-Hadithi, pp. 20–21, 1st ed., Dār al-Taḍāmun, Baghdad, Iraq, 1386 AH – 1967 AD.
- *Al-Kitāb* by Sībawayh, Edited by ʿAbd al-Salām Muḥammad Hārūn, 3rd ed., ʿĀlam al-Kutub, 1403 AH – 1983 AD.
- *Language Between Normative and Descriptive Approaches* by Dr. Tammām Ḥassān, 4th ed., ʿĀlam al-Kutub, Cairo, 2001 AD.
- *Marātib al-Naḥwiyyīn* by Abū al-Ṭayyib al-Lughawī, Edited by Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, Nahḍat Miṣr Library – Cairo.
- *Al-Maʿārif* by Ibn Qutaybah, Edited by Dr. Tharwat ʿUkāsha, 4th ed., Dār al-Maʿārif, Cairo.
- *Muʿjam al-Udabāʾ (Irshād al-Arīb ilā Maʿrifat al-Adīb)* by Yāqūt al-Ḥamawī, Edited by Dr. Iḥsān ʿAbbās, 1st ed., Dār al-Gharb al-Islāmī, Beirut – Lebanon, 1993.
- *Al-Mufaṣṣal fī Tārīkh al-Naḥw al-ʿArabī* by Dr. Muḥammad Khayr al-Ḥalawānī, 1st ed., Muʾassasat al-Risāla, Beirut, 1399 AH – 1979 AD.
- *The Concise Encyclopedia of Scholars of Tafsīr, Qirāʾāt, Grammar, and Language*, Compiled by Walīd ibn Aḥmad al-Ḥusayn al-Zubayrī et al., Vol. 2, p. 1788, 1st ed., Al-Ḥikmah Magazine, Manchester – UK, 1424 AH – 2003 AD.
- *Nuzhat al-Albāʾ fī Ṭabaqāt al-Adabāʾ* by Abū al-Barakāt al-Anbārī, Edited by Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, Dār al-Fikr al-ʿArabī, Cairo, 1418 AH – 1998 AD.
- *Theories in Language* by Anis Freiha, 2nd ed., Dār al-Kātib al-Lubnānī – Beirut, 1981.
- *Wafayāt al-Aʿyān wa Anbāʾ Abnāʾ al-Zamān* by Ibn Khallikān, Edited by Dr. Iḥsān ʿAbbās, Dār Ṣādir, Beirut, 1972.

Journals and Periodicals:

- *Sībawayh in Contemporary Western Studies: Michael Carter as a Model* by Muḥammad al-Wuḥaydī, , King Saud University, 3rd International Conference, 1442 AH – 2020 AD.
- Article: *Writing and the Emergence of Authored Books in the Early Islamic Period* by Dr. Ṣāliḥ Aḥmad al-ʿAlī, Vol. 31, No. 2, *Journal of the Iraqi Scientific Academy*, 1980.
- *From the Notables of Basra: Sībawayh – Notes and Observations on His Biography and Book* by Dr. Ṣāḥib Jaʿfar Abū Jināḥ, presented at the 3rd Al-Mirbad Festival, 1974, Ministry of Information – Republic of Iraq.